ويراد به الجنس فانه اذا قيل العصبة كل من يأخذ ما ابقته الفرايض يكون المعنى ما يأخذ
ما بقي من جنس الفريضة وهي السهم المقدر ضرورة ان اجتماع الفروض في المسئلة ليس شرطا
في العصوبة فكذا لفظ الحمد يراد به الجنس لا الاحاد ثم انه تعالى لما استدل على حمده وحكمته بقوله
خلق السموات والارض بغير عمد ترونها الآية ومهد به قاعدة التوحيد ثم بكت المشركين
بقوله هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه ثم اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال
المبين ثم ادرج قصة لقمان للدلالة ان ما امر به ونهى عنه ليس مما يتوقف معرفته على الوحي و
النبوة بل كل ذلك على وفق الحكمة ونتيجة الفكرة فوجب على العاقل ان يشتغل بمجرد فكره
الصحيح ونظره الصائب وان لم يهتد بنفسه فبارشاد النبي المؤيد بالمعجزات الباهرة ومن لم يسترشد
من ذلك فهو بمحض الحماقات البهم واضل سبيلا ثم انتقل بعد ذلك الى قوله اسفل جواب قوله
لما استدل الاستدلال على وحدانيته بوجه اخر وهو كونه مربيا منعما كلها ظاهرة وباطنة
فان الملك كما يخدم لعظمته وان لم ينعم يخدم لنعمته ايضا فلما بين انه المعبود لعظمته بخلقه
السموات بلا عمد والقائه في الارض رواسي وذكر بعض النعم بقوله وانزلنا من السماء ماء ذكر
بعده عامة النعم فقال الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض الاية
اي الم تعلموا العلم الذي يقوم مقام رؤية العين ان الله تعالى سخر لاجلكم وذلك ما في
السموات بان جعله اسبابا لحصول ما تحتاجون اليه من المهمات وسهل لكم الانتفاع بتلك
الاسباب على حسب مشيئته وارادته وسخر ما في الارض ايضا بان مكنكم من الانتفاع به
بواسطة او بغير واسطة والنعمة في الاصل الحالة الطيبة التي يستلذ بها الانسان فاطلقت
لما يستلذ به من الاشياء الملائمة للطبع المؤدية الى تلك الحالة الطيبة ونعم الله تعالى وان كانت
لا تحصى اشخاصها لكنها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي
وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى
كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات له
من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق و
والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول المال
والجاه والثاني ان يغفر له ويرضى عنه ويبوئه في اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد الابدين
هذا ما ذكره المصنف في سورة الفاتحة واسباغ توسيعها واتمامها يقال سبغت النعمة سبوغا
اذا تمت روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة فقال يا ابن عباس فاما ما ظهر فالاسلام

النعم

فالاسلام وما سوى الله تعالى من خلقك وما افضل عليك من الرزق واما ما بطن
فستره مساوي عملك ولم يفضحك بها يا ابن عباس ان الله يقول ثلاثة جعلتهن للمؤمن
ولم تكن له روي ان موسى عليه السلام قال يا رب دلني على اخفى نعمك على عبادك قال
اخفى نعمي عليهم النفس وهم غافلون عما فيه النعمة وروي ان ايسر ما يعذب به اهل النار
الاخذ بالانفاس صلوة المؤمنين عليه من انقطاع عمله وجعلت له ثلث ماله اكفر به
عنه خطاياه والثالثة سترت عليه مساوي عمله فلم افضحه بشيء منه ولو ابديتها
عليه لنبذه اهله فمن سواهم وقيل الظاهرة شهادة ان لا اله الا الله باللسان
والباطنة الاعتقاد بالتوحيد بالجنان وقيل الظاهرة اتباع الرسول والباطنة
محبته قوله وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نعمه بفتح العين على انه جمع نعمة مضاف الى هاء
الضمير فقوله ظاهرة حال منها وقرأ الباقون نعمة بسكون العين وتنوين تاء التانيث
على انه اسم جنس في معنى الجمع كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فقوله ظاهرة
صفة لها ثم انه تعالى لما بين ما تفضل به على عباده واسبغ عليهم نعمة ظاهرة وباطنة
ذكر بعض من منهم من يجادل في توحيده واخلاص طاعته تعالى ومن
الناس من يجادل في الله بغير علم قيل نزلت في النضر بن الحارث وابي بن خلف واشباههم
الذين كانوا يجادلون النبي عليه السلام في وحدانيته تعالى وصفاته من غير علم مستفاد من دليل
العقل وغير هداية حاصلة من قبل صاحب الوحي ومن غير كتاب منزل من رب
العالمين ثم اذا قيل لهؤلاء المجادلين الذين لا تمسك لهم اصلا تعالوا الى كتاب الله تعالى
واتبعوه تهتدوا اعرضوا عن كلام الله تعالى وقالوا بل نتبع اباءنا ومن المعلوم
ان من كلام الله تعالى وكلام العلماء برده عظيم فضلا عن كلام الله تعالى وكلام الجهال
قوله من التقليد والاشراك من قبيل اللف والنشر الاول على ان يكون الضمير لهم والثاني
على ان يكون لاباءهم قوله من اسلمت المتاع الى الزبون اي اسلمته الى الحريف اي المعامل
يشاركك في الحرفة والتجارة يعني ان اسلم اذا عدي بالى يكون بمعنى سلّم فان عدي باللام كما في قوله
تعالى بلى من اسلم وجهه لله فذلك باعتبار تضمنه معنى الاخلاص فمعنى الاية ومن يسلم نفسه
الى الله بان يفوض امره اليه ويقبل بشراشره عليه ومعنى قوله تعالى من اسلم وجهه لله جعل
ذاته ونفسه سالما لله اي خالصا لله تعالى قوله وهو تمثيل للمتوكل الخ ارادة التشبيه التمثيلي لا
الاستعارة التمثيلية لذكر كل واحد من طرفي التشبيه غاية انه لم يذكر اداة التشبيه للمبالغة في
تابينا لا وثق واوثق العرى جانب الحبل لان كل ما عداه هالك منقطع وهو باق لا انقطاع له

بيان صفة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)